المحاضرة رقم 13: المقاربة بالكفاءات

**تمهيد**: دخلت الجزائر عهدًا جديدًا من الإصلاحات الّتي مسّت قطاع التربية بدءًا من 2003، من خلال تبنّيها مقاربة جديدة تؤسّس لنظام تعليمي جديد يشمل الأطوار التعليمية الثلاثة، وتأتي المقاربة بالكفايات بعد تجربتين هما: المقاربة بالمضامين، والأهداف.

**1- مفهوم الكفاءة:** تعرّف بأنّها "المقدرة المتكاملة الّتي تشمل مجمل مفردات المعرفة والمهارات والاتجاهات اللّازمة لأداء مهمّة ما، أو عدّة مهام مترابطة بنجاح وفاعلية"، إنّ الكفاءة بمفهومها الشامل تقتضي قدرة الفرد على توظيف المعارف والمهارات وتجنيدها لمواجهة وضعيات جديدة غير مألوفة ومعقّدة، وتشترط تآزرًا ذهنيا وانفعاليا وحسيا في آن واحد، أي توظيف المعارف وتحويلها إلى سلوك أدائي.

**2- مفهوم الكفاية:** لقد تمّ التخلي عن مصطلح الكفاءات لصالح مصطلح الكفايات لأنّه يعبّر أكثر عن الوضعيات التعليمية الّتي يوضع فيها المتعلّم أثناء فعل التعلّم من أجل تحقيق الكفاءة والإنجاز ضمن هذه المقاربة، فما هو مفهوم الكفاية؟

تعرّف الكفاية بأنّها "حسن الأداء أو الفعل، أي القدرة على إدماج وتجنيد وتحويل مجموعة موارد( معارف، معلومات، مهارات... ) في سياق ما لمواجهة مختلف المشاكل وإنجاز عمل" ،فالكفاية تقوم على الدمج بين المعارف( نظرية، علمية، مخبرية، تجريبية... ) والمهارات والقدرات لإنجاز أنشطة أو معالجة قضايا بكيفية عملية ،وبالتالي فالكفاية تفترض وجود كفاءات سابقة يتأسّس بها ملمح الدخول، أمّا الكفاية فهي ملمح خروج الفعل التعليمي، فالمتعلّم لابدّ أن يمتلك كفاءات التحليل والتفكير حتّى يحقّق في النهاية كفاية الإنجاز ، فقدرته على القراءة ككفاءة تمكنه من امتلاك ثروة لغوية في نهاية الدرس أي كفاية لغوية أو تواصلية.

**3-الخلفيات الفلسفية للمقاربة بالكفايات:** إنّ مصطلح الكفاءة ذات أصل لاتيني(Comptentia )، وتعني العلاقة، وتقابلها في اللغة الفرنسية( Compétence )، وقد ظهر هذا المصطلح سنة 1468 في اللغات الأوروبية وورد معانٍ مختلفة. وعلى العموم فإنّ التيار الفلسفي والعلمي الأكثر مساهمة في بلورة هذه المقاربة هو النموذج البنائي المعرفيبزعامة **بياجيه** الّذي جعل من "النمو العقلي هو الّذي يتحكّم في التعلّم وليس العكس، ومن هنا فإنّ التعليم لا ينبغي أن يكون قائمًا على تبليغ المعلومات، وإنّما على تسهيل بناء المعلومات لكلّ طفل بمفرده بواسطة الأدوات التعليمية والاحتكاك مع المحيط"، فالهدف الأسمى لهذه النظرية ليس تزويد المتعلّم بمعلومات ومعارف جاهزة، بقدر ماهو تطوير وتكييف نشاطه العقلي، الوجداني والمهاري لكي يصبح قادرًا على استثمار قدراته.

**4- المقاربة بالكفايات:**

**أ- تعريفها:** هي " مقاربة وظيفية تعمل على التحكّم في مجريات الحياة بكلّ ما تحمله من تشابك في العلاقات، وتعقيد في الظواهر الاجتماعية، ومن ثمّ فهي اختيار منهجي يمكّن المتعلّم من النجاح في هذه الحياة على صورتها، وذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف الحياة"، و ترتكز على أنشطة المتعلّم وقدراته لتحقيق أهداف التعلّم، فجعلت منه مركز العملية التربوية، في حين قلّصت أدوار المعلّم من متحكّم في مراحل العملية التعليمية إلى مرشد وظيفته خلق مواقف تعليمية يستثمر فيها المتعلّم قدراته وكفاءات لحل مشكل تعليمية تعترضه.

**ب- مبادئ المقاربة بالكفايات:**

**1- الكفاية كمبدأ للتكوين:** يعدّ اكتساب الكفايات الهدف الرئيس من عملية التعلّم والتعليم في ظلّ المقاربة بالكفايات، لذلك كانت أولويتها "جعل المعارف إجرائية وتطبيقية بدلًا من مجرّد اكتسابها واستظهارها وقت الحاجة أي في الامتحانات، وهذا المبدأ يسمح بممارسة الكفاءة والتحكّم فيها.

**2- تحديد الكفاءات وفق السياق الّذي تطبّق فيه:** وانطلاقًا من المبدأ السابق الّذي يفصل المعارف الإنجازية والأدائية، يصبح من الضروري تحديد ما ينبغي تحقيقه، ويكون ذلك طبعًا حسب السياق الّذي تطبّق فيه هذه الكفاية، ويتحدّد من خلال المقاصد التربوية والأهداف العامة المنتسبة إلى مشروع تربوي أو مؤسساتي أو وطني.

**3- التقويم المرتكز على الكفايات:** هذا المبدأ أسّس لتقويم جديد يتّسم بالشمولية والمرونة والاستمرارية، وتنوّع بين قبلي وتشخيصي، بنائي ونهائي فنحن لا نقوّم المتعلّم وحصيلته المعرفية المخزّنة والمسترجعة، وإنّما نقوّم تقدّمه الشامل نحو تحقيق الأهداف والتطوّرات العقلية، الانفعالية والمهارية الحاصلة على مستواه.

**4- وصف الكفايات بالنتائج والمعايير المرتبطة بها**: تركّز المقاربة بالكفايات على الوصف والتجديد الدقيق للكفاية الّتي نريد اكتسابها للمتعلّم، انطلاقًا من معايير مرتبطة بها، وتتمثل في:

أ- أن تكون النتائج قابلة للملاحظة والقياس.

ب- معايير حسن الأداء الّتي ستكون معايير للنجاح أو الرسوب.

جـ- السياق الّذي سيجري فيه التقويم.

**5- التعلّم المتمحور على التطبيق:** إنّ الهدف من التدريس بالمقاربة بالكفايات هو "جعل المتعلّم يحوّل المعارف المكتسبة إلى إنجازات في السياقات المناسبة لها في القسم وأثناء تفاعله مع الواقع المعيش"، أي التركيز على المعرفة الوظيفية الممارسة، لا على المعرفة المخزّنة المسترجعة.

**6- إشراك الأوساط المعنية بالفعل التربوي:** والهدف من هذا المبدأ هو الاستفادة من الخبرة الّتي يحوزها كل الطاقم التربوي من معلمين وإداريين في إعداد البرامج وفقا للكفايات المراد اكتسابها للمتعلّم، لأنّ مساهمتهم ضرورية لإنجاح العملية التربوية وتطويرها.

**ج- خصائص المقاربة بالكفاءات:**

**1- تجنيد وتوظيف الموارد:** وتتوضّح هذه الخاصية في قدرة المتعلّم على توظيف مكتسباته في وضعيات تعلّمية معينة لحل مشاكل تواجهه أي قدرته على التكيّف مع الوضعيات الّتي تصادفه من خلال انتقاء مهارات ومعارف وأداءات تتماشي معها.

**2- الغائية النهائية:** المقاربة بالكفايات على تسخير هذه الموارد المشار إليها في الخاصية الأولى لإنجاز عمل ما، أو حلّ مشكلة تعليمية أو حياتية.

**3- الارتباط بوضعيات ذات مجال واحد:** إذ "لا يمكن فهم كفاءة أو تحديدها إلّا من خلال وضعيات توظّف فيها هذه الكفاءة، بالرغم من إمكانية تحويل بعض الكفاءات الّتي تنتمي إلى مواد مختلفة، أي من مادة إلى أخرى ستبقى الكفاءات متميّزة عن بعضها البعض"

**4- التعلّق بالمادة:** لكلّ مادة كفايات خاصة توظّف معارف ومهارات وسلوكات ترتبط بهذه المادة، لكنّنا كثيرًا ما نجد أنّ اكتساب المتعلّم بعض الكفايات وتوظيفها يقتضي معرفة بمواد أخرى، وتحكّمًا فيها، وهنا تتدخل المعلّم ومعارفه في هذه المواد.

**5-قابلية التقويم:** تقاس الكفاية بالنظر إلى العمل المنجز من المتعلّم، وكذا نوعية الناتج الّذي توصّل إليه.

**د-أهداف المقاربة بالكفايات وأهميتها:** تسعى المقاربة بالكفايات إلى تحقيق جملة من الأهداف نذكر منها:

1- التركيز على ما يملكه المتعلّم من طاقات كامنة وقدرات، وبلورة استعداداته وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

2- تجعل من المتعلّم محورًا أساسًا في العملية التعليمية من خلال إشراكه في مسؤولية قيادة التعلّم.

3- تدريبه على التفكير المتشعّب، والربط بين المعارف في المجال الواحد والاشتقاق من الحقوق المعرفية المختلفة.

4-زيادته قدرته على إدراك تكامل المعرفة والتبصّر بالتداخل والاندماج بين الحقول المعرفية المختلفة، والّتي تسمح له بتكوين نظرة شاملة للأمور والظواهر المختلفة الّتي تحيط به.

5- تسعى إلى تشجيع اندماج المفاهيم والأدوات المعرفية الجديدة بدل اعتماد الأسلوب التراكمي للمعارف.

6- اختيار وضعيات تعليمية مستقاة من الحياة على شكل مشكلات تعليمية

من الأهداف السابقة تبرز **أهمية المقاربة بالكفايات** كونها:

1- تسمح بإدماج منطق السيرورات المعرفية العقلية.

2- تدفع المتعلّم نحو الاستقلال الذاتي والتكوين الشامل والتكيّف والاندماج.

3- تجعل التعلّمات أكثر فاعلية حيث تضمن تثبيتها وتركّز على ما هو جوهري وما بينها من علاقات.

4- هيكلة وتنظيم التعلّم و التدرّج في بناء التعلّمات.

5- تحقيق الانسجام بين المواد والمحتويات.

7- تأسّس التعلّمات البعدية القائمة على مختلف مكتسبات المتعلّم.

**خاتمة:** تستجيب المقاربة بالكفايات للحاجيات التربوية الأساسية، فقد اهتمّت أكثر بالمتعلّم وخصائصه العقلية، النفسية والمهارية، وجعلت منه فردًا فعالًا منتجًا لتعلّماته، كما اهتمّت أكثر بالنشاط الفعلي الإنجازي المتمحور حول الأداء فنقلت التعلّمات من التلقين والتخزين والاسترجاع إلى التطبيق والانجاز، وهذا ما خلق تصوّرًا جديدًا للعملية التعليمية التعلّمية على منطق التعلّم لا التعليم، قصد إدماج المعارف واكتساب الكفايات الضرورية الّتي تصنع من هذا المتعلّم فردًا فعّالًا متفاعلًا مع مجتمعه.

قائمة المراجع:

-عبد الكريم غريب: المفاهيم والمقاربات الديداكتيكية للممارسة الإدماجية، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 2010.

-فريد حاجي: بيداغوجيا التدريس بالكفاءات -الأبعاد والمتطلّبات-، دار الخلدونية، الجزائر، دط، دت.

-محمـد بن يحي زكرياء: التدريس عن طريق المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات، والمشاريع وحلّ المشكلات، منشورات وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2006.

-محمـد الصالح حثروبي: المدخل إلى التدريس بالكفاءات، دار الهدى، الجزائر، 2002، دط.

-محمـد الطاهر واعلي: نشاطات الإدماج( لماذ؟ متى؟ وكيف؟ )، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية، الجزائر، دط.

-المركز الوطني للوثائق التربوية: المقاربة بالكفاءات كبيداغوجية إدماجية، 2005.

-المركز الوطني للوثائق التربوية: بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، الجزائر، ط1، 2006

-المركز الوطني للوثائق التربوية: التقييم عن طريق المقاربة بالكفاءات، الجزائر، 2009

-مصطفى لخصاصي: بناء المناهج الدراسية وقف مدخل الكفاءات، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2009.

- وسيلة قرايرية: تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات لأهداف المناهج الجديدة في إطار الإصلاحات التربوية التربوية حسب معلّمي ومفتشي المرحلة الابتدائية –دراسة ميدانية بالمقاطعات التربوية بولاية قالمة، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة قسنطينة، 2009-2010.